العناصر الهامشية المنحرفة خلال عصر الحروب الصليبية (1095 – 1291م)
اللصوص نموذجًا

Marginalized Perverts people during the era of the Crusades (1095-1291) Thieves as a model

أشرف صالح محمد سيد *
جامعة ابن رشد (هولندا)، ashraf-salih@hotmail.com
Ashraf Salih Mohamed Sayed *
Averroes University (Holland)

تاريخ الاستلام:2021/05/14 تاريخ القبول:2021/10/09 تاريخ النشر:2022/01/15

ملخص:

كان من أسباب الحروب الصليبية رغبة البابوية في التخلص من المجرمين الأوروبيين بإرسالهم إلى الشرق بحجة تكفير الذنوب، فأدى ذلك إلى انخراط الآلاف منهم في الحركة الصليبية على طول امتدادها الزماني والمكاني، فأصبحت بلاد الشام وسواحلها مرتعًا خصبًا لأعمالهم الإجرامية، هذا فضلاً عن أعمال اللصوص الشرقيين من السلب والنهب والسطو. ومحور هذه الدراسة هؤلاء الأفراد الذين تراكموا على هامش المجتمع في شكل بؤر للسلب والنهب، في محاولة لرسم صورة لهذه العناصر الهامشية الخارجة على قوانين المجتمع وذلك ضمن سياق التفسير الاجتماعي لتاريخ الحروب الصليبية وما تمخضت عنه من ظواهر كاللصوصية التي أدت إلى غياب الأمن والسلم بين الناس على اختلاف دياناتهم وأعراقهم حتى في فترات السلم العسكري بين المسلمين والصليبيين، فقد كان من آثار أعمال اللصوص، ترويع الآمنين من الأهالي، وتعطيل حركة سيرهم بين البلدان. وتعتمد الدراسة على منهج البحث التاريخي لرصد الإشارات التي تحدثت عن اللصوص في المصادر التاريخية من نصوص تعكس أسماء اللصوص، وأوكارهم، وأعدادهم، والكفاءة القتالية لهم، وأوقات عملهم الإجرامي، وأنواع المسروقات. وقد خرجت الدراسة بنتائج كان من أهمها أن أعمال اللصوص وردت في المصادر بتحديد جنس أو ديانة اللص دون أن تحدد لنا اسمه، كما أن المصادر لم تذكر أعداد اللصوص صراحةً، لكن عرفنا من خلالها أنهم تمتعوا بكفاءة قتالية عالية مما جعلهم يؤدون أعمالهم الإجرامية بنجاح.

الكلمات المفتاحية: المهمشون، السلب والنهب، الحركة الصليبية، اللصوصية، العصور الوسطى.

Abstract:

One of the causes of the Crusades was the papal desire to get rid of European criminals by sending them to the East under the pretext of expiation for sins. This led to the involvement of thousands of criminals in the Crusader movement, and the Levant and its coasts became a breeding ground for their criminal actions. This is in addition to the actions of eastern thieves and pirates of looting and robbery. The focus of this study is those individuals who have accumulated on the margins of society in the form of outposts of plunder and plunder, in an attempt to paint a picture of these marginal elements which outside the laws of society by using the methodology of historical research. Based on the historical sources texts that reflect the names of thieves, dens, their numbers, combat competence, the times of their criminal work, and the types of stolen goods. This is to understand the phenomenon of banditry and its impact on people in periods of war and peace.

Keywords: The Crusade, Marginalized people, Looting, Plunder, Middle Ages.

---

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

كان للحج المسيحي بقصد التوبة قيمته العملية من الناحية الاجتماعية، إذ كان يرغم المجرمين وأصحاب الذنوب على الابتعاد عن المجتمع عدة شهور، أو عدة سنوات. (قاسم عبده قاسم، 1990، ص28) وقد أدركت البابوية هذا المعني فحثت اللصوص والقراصنة والمجرمين على الانخراط في الحركة الصليبية. يقول البابا أوربان الثاني في المجمع الذي عُقد في كليرمونت سنة (488هـ/ 1095م): "ولتكن غيرتكم في هذه الحملة تكفيرًا عن السلب والسرقة والقتل التي بها آثرتم غضب الرب".(روجر أوف ويندوفر، 2000، ج39/ ص13) وفى رواية أخرى لخطاب البابا أوربان الثاني: "فليخرج أولئك الذين عكفوا حتى الآن على حروب خاصة ومغايرة للشرع، فجرَوا عظيم الخسران على المؤمنين، فليكونوا من الآن فرسانًا للمسيح، أولئك الذين لم يكونوا غير قُطاع طرق". (ميشيل بالار، 2003، ص60) فقد أرادت البابوية تصدير العنف الذي كان دائرًا في أوروبا إلى الشرق الإسلامي، بدلاً من تناحر المسيحيين فيما بينهم في أوروبا، فضمت الجيوش الصليبية أعدادًا كبيرة من المجرمين بمختلف أنواعهم، كل أولئك أتوا تحت شعار الحروب الصليبية، وتركزوا في الموانئ الساحلية لبلاد الشام. (أحمد عبد الله أحمد، 2016، ص29، 62)

إن الحركة الصليبية لم تكن قاصرة على أمة أو دولة أو جنس معين، وإنما اشتركت فيها جميع أمم الغرب الأوروبي، واشتملت كذلك على عناصر من مختلف الطبقات، فكان فيها النبلاء وكبار رجال الإقطاع والفرسان ورجال الدين، وبجانبهم أعداد غفيرة من عامة الشعب واللصوص والمجرمين وقُطاع الطرق. (جوزيف نسيم يوسف، د.ت، ص133 – 134) كان قدوم اللصوص والقراصنة إلى الشرق الإسلامي مستمرًا في أوقات الحرب والسلم على حد سواء، يقول يعقوب الفيتري عن الأوروبيين القادمين إلى الأرض المقدسة: (يعقوب الفيتري، 1998، ص134) "رجال خطرين مجرمين أشرار، لصوص، سارقين، قراصنة".

هكذا انخرط اللصوص والقراصنة ومَنْ على شاكلتهم من المجرمين الأوروبيين في الحركة الصليبية سواء في أوقات الحرب وتجهيز الحملات، أو في أوقات السلم بين المسلمين والصليبيين، وأصبحت بلاد الشام مرتعًا خصبًا لكافة أنواع اللصوصية التي مارسها المجرمون، ضد المسلمين وضد بني جلدتهم من الصليبيين، هذا فضلاً عن اللصوص الشرقيين، فأصبحت السرقة في عصر الحروب الصليبية ظاهرة اجتماعية خطيرة تدعو إلى الانتباه.

تكمن أهمية الدراسة في حصر الإشارات الواردة عن اللصوص في المصادر التاريخية لسبر أغوار عالم اللصوصية بعيدًا عن الدوافع والجرائم، في محاولة لرسم صورة لهذه العناصر الهامشية المنحرفة، وذلك برصد أسماء اللصوص وأوكارهم، وأعدادهم، وكفاءتهم القتالية، وأوقات عملهم الإجرامي، وأنواع المسروقات التي سطوا عليها.

1–أسماء اللصوص: على الرغم من أن عالم اللصوص من العوالم الخفية التي يجهل الناس الكثير عنهم، نظرًا لارتكابهم جريمة السرقة في جنح الظلام في الغالب، وكذلك لارتدائهم ملابس تخفي ملامح وجوههم، إلا أن المصادر التاريخية قد ذكرت الكثير من أسمائهم، إما لشهرة هؤلاء اللصوص في عصرهم، وإما لأن شخصيتهم قد كُشفت، فصارت أسماؤهم معروفة، ومن ثَمَّ سُجلت أسماءهم في صفحات التاريخ، على الرغم من قباحة أفعالهم. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن أغلب ذكر أعمال اللصوص وردت في المصادر التاريخية بتحديد جنس أو ديانة اللص دون أن تحدد لنا اسمه.

وردت في كتب التاريخ العديد من أسماء اللصوص الصليبيين، كان من بين اللصوص الأخساء – على حد قول صاحب الرواية – رجل اسمه (وليم) ولقبه (بابا Papa) وهو إنجليزي الجنسية. (متي باريس، 2001، ج40/ ص1047) ومنهم لص إنجليزي آخر يُدعى (فالكاسيوس)، (روجر أوف ويندوفر، 2000، ج39/ ص844) وإنجليزي ثالث كان من قُطاع الطريق في المناطق الشمالية من لندن اسمه (جون أوف أكتون Acton). (متي باريس، 2001، ج40/ ص322) ومن اللصوص الفرنسيين الذين وردت أسماؤهم في كتب التاريخ، اللص روجر، صاحب قلعة جلون (Rocche de Glun). (جوانفيل، 1968، ص81)

أما عن اللصوص الشرقيين، فقد وردت أسماء العديدين منهم، فقد ذُكر سابقًا اسم خلف بن ملاعب الكلابي صاحب حصن أفامية، وكان هناك لص يُدعى (باكراد Pakorad) من الأرمن يسكن في حصن في ضواحي مدينة تل باشر والراوندان. (ألبرت فون آخن، 2007، ج51/ ص112 -113) ومن أسماء هؤلاء اللصوص أيضًا، بركات بن فارس الفوعي، المعروف بالمجن، كان من جملة اللصوص الشُطار وقُطاع الطريق الذُعار. (ابن العديم، 1996، ج1/ ص84) ومن أسماء اللصوص الشرقيين، ابن الحشاش، الذي كان يسيطر على جميع الطرق البرية الفاصلة بين قيصرية وأرسوف في الحملة الصليبية الثالثة، (مجهول، 2000، ج2/ ص236) وذلك دون أن تذكر المصادر التاريخية عنه أي شيء غير ذلك.

2-أوكار اللصوص: كان اللصوص يعلمون جيدًا بأنهم مطلوبين للعدالة بسبب ما يقترفونه من جرائم للسرقة، فكان من الطبيعي أن يختاروا أوكارًا للإقامة فيها بعيدة عن أعين الناس عمومًا ورجال الشرطة والجيش على وجه الخصوص، وأوكار من الصعب الوصول إليها أيضًا، ومع اختلاف التضاريس في المنطقة التي مارس فيها اللصوص أعمال السرقة في عصر الحروب الصليبية، كان لابد أن تتنوع أوكار اللصوص وفق اختلاف هذه التضاريس وطبيعة المواقع الجغرافية، ويمكن حصر أهم أوكار اللصوص خلال عصر الحروب الصليبية في المواقع الآتية:-

1/2 – الغابات: من الأوكار المهمة التي كان يأوي إليها اللصوص في السرقات البرية، خلال عصر الحروب الصليبية الغابات، سواء أثناء السرقات التي كانت تتم في سير الحملات الصليبية من أوروبا، أو في بلاد الشام، التي تعرف بالعديد من الغابات فيها، ولعل اختيار بعض اللصوص للغابات كي تكون وكرًا لهم، يرجع إلى أشجارها الكثيفة القابلة للاختفاء فيها، وإلى صعوبة تحركات القوات الأمنية فيها، وتتبع هؤلاء اللصوص.

كان السفر محفوفًا بالمخاطر، وكانت الغابات ملأي باللصوص. (عزيز سوريال عطية، 1977، ص153) يقول ريموندا جيل عن وصول الجيش الصليبي في الحملة الصليبية الأولي إلى أرض دلماشيا في بلاد السُلاف: (ريموندا جيل، 2002، ص59) "كان من الصعب على فرساننا ثقيلي التسليح أن يطاردوا هؤلاء اللصوص غير المسلحين في جوف الجبال الوعرة والغابات الكثيفة، إلا أن قواتنا قد صبرت على قُطاع الطرق هؤلاء، لأنه لم يكن في استطاعة جنودنا أن يقاتلونهم في الخلاء، أو يتجنبوا مناوشتهم".

فقد اعتاد اللصوص في الغرب الأوروبي على جعل الغابات من الأوكار التي يلجؤون إلى العيش فيها، من ذلك، أنه في سنة (614هـ/ 1217م)، حشد اللص الشرير (فالكاسيوس) قوة من الفرسان واللصوص من

حامية قلاع أوكسفورد بإنجلترا، وتوجه إلى (سانت ألبان) ووصل عند المساء، وقام بهجوم غير متوقع على المكان، فنهبه، وزحف مع أتباعه إلى غابة وولبورغ (Walburg). (روجر أوف ويندوفر، 2000، ج39/ ص730)

وكانت الغابات أيضًا من الأوكار المفضلة للصوص في الأراضي المقدسة، يقول الرَحالة الروسي دانيال الراهب عن ذلك: (دانيال الراهب، 1992، ص89) "بالقرب من بحيرة سدوم –البحر الميت– هناك جبل صخري مرتفع مكسو بغابة واسعة كثيفة، والطريق خطرة فوق هذا الجبل المخيف، وكان المسلمون يتكسبون من هذا الممر بالإغارة على هؤلاء الذين كانوا يغامرون بالمرور بأعداد صغيرة. وبالنسبة لي فقد هيأ لي الله عددًا طيبًا من الرفاق، واستطعت عبور ذلك المكان المريع دون عوائق، وهذا المكان غير بعيد عن عسقلان، حيث يجتمع الكفار بأعداد كبيرة ويهاجمون المسافرين".

لما كان بلدوين الأول ملك بيت المقدس عائدًا من إغارته على مدينة عكا، وبينما هو يسير في طريقة إلى مدينة قيصرية عند كفر ناعوم –مدينة على ساحل بحيرة طبرية شمال فلسطين–شاءت الصدفة أن تطلع عليه طائفة من قُطاع الطرق والشُطار كانوا مختفين في إحدى الغابات، فهاجمهم الملك هجومًا عنيفًا. (وليم الصوري، 1991، ج2/ ص243)

وكان بعض اللصوص يستغل مخاضات الأنهار وكرًا لهم، يقول الرَحالة دانيال الراهب عن ذلك: (دانيال الراهب، 1992، ص110) "فقد كان المكان من مدينة نابلس ومدينة بيسان خطر ومخيف جدًا، حيث يقطن عدد كبير من المسلمين الأقوياء الذين يستغلون مخاضات الأنهار لمهاجمة المسافرين".

2/2 – المغارات والكهوف الجبلية: كانت الجبال عمومًا من الأماكن المثالية للصوص كي يتخذون منها أوكارًا جيدة لهم، خاصةً الجبال الوعرة التي يصعب السير فيها أو الصعود إليها. يقول الرَحالة دانيال الراهب عن إحدى هذه الجبال في الأراضي المقدسة فيما بين بيت المقدس ومدينة طبرية: "والطريق خطرة ومتعبة، ويسير المرء لمدة ثلاثة أيام عبر جبال وعرة". ولما كان بعض الرهبان في طريق عودتهم إلى مدينة ملطية عند جبل التفاح، التقي بهم لصوص وتحاربوا معهم، فقتل ثلاثة من اللصوص. (ميخائيل السوري الكبير، 1995، ج5/ ص208)

ويؤكد على أن الجبال كانت من أوكار اللصوص في الأراضي المقدسة مؤرخ صليبي آخر هو وليم الصوري الذي يقول عن ذلك، أثناء حديثه عن بناء الصليبيين لحصن جديد: (وليم الصوري، 1991، ج4/ ص227 – 228) "بينما كان القوم – الصليبيون – منصرفين لعمليات البناء، إذا باللصوص يفدون من أرض دمشق ويقطعون الطرق العامة على السابلة، حتى لم يعد أحد يستطيع الذهاب إلى الجيش أو مغادرته إلا والخطر يهدده، وبذلك سُدت جميع المسالك أمام المسافرين واستحال السفر، وقد جاء هؤلاء اللصوص من موضع في الجبال القريبة من عكا، والمسماة بجبال (باكاديس) أو باللسان الدارج (بوكائل) وهذا الموضع من أنزه المواضع في ناحية زبولون".

ويؤكد وليم الصوري على ذلك في موضع آخر بقوله: (وليم الصوري، 1991، ج4/ ص216) "في أواخر أيام مملكة بيت المقدس كان أهل بيت المقدس من الصليبيين قد استعدوا للهجرة من المدينة يأسًا منهم من مناعة

تحصيناتها، وكان بعض قُطاع الطرق تقدموا حتى بلغوا الموضع المسمى بكالكاليا، وانتشروا في كافة أرجاء السهل، ثم أصبحوا الآن على وشك ترك هذه الأرض المنبسطة والصعود إلى الجبال".

إذا كانت الجبال عمومًا من أهم أوكار اللصوص في عصر الحروب الصليبية، فقد كان اللصوص يختارون من هذه الجبال أماكن خاصة كي يستقرون فيها وتحميهم من حرارة الصيف وبرودة الشتاء، ومن أهم هذه المناطق، المغارات الجبلية. ومن الشواهد التاريخية الدالة على ذلك، أن الملك بلدوين الأول علم بأن هناك قبائل من الأثيوبيين (السودان) تسكن في مغائر تحت الأرض بين عسقلان ومصر، وهذه القبائل شريرة تتعرض للحجاج الصليبيين القادمين إلى القدس وتسلبهم وتقتلهم، فقرر حصار هذه المغاور. (ألبرت فون آخن، 2007، ج51/ ص190)

ومن المواقع الجبلية التي كان يختارها اللصوص لتكون مأوى لهم، الكهوف الجبلية أيضًا، وهي تؤدي الغرض نفسه غير أنها أكبر حجمًا من المغارات، وبالتالي تستوعب أكبر عدد من اللصوص والمسروقات.

يقول ريموندا جيل عن دخول الصليبيين لمدينة ألبارة: (ريموندا جيل، 2002، ص169) "وسرق المسيحيون كل السلع التي كانت فوق الأرض، ودفعهم الأمل في الحصول على ثروات المسلمين المخبأة تحت الأرض، فأطلقوا الدخان على الأعداء لإخراجهم من كهوفهم باستخدام النار والأبخرة الكبريتية".

ويقول فوشيه الشارتري عن تواجد الصليبيين في قرى عسقلان: (فوشيه الشارترى، 1990، ص108) "وجدنا قرى قد هجرها أهلها من الشرقيين ومعهم دوابهم وممتلكاتهم واختبأوا في الكهوف خوفًا منا، وكان بينهم لصوص اعتادوا أن يتربصوا بين الرملة والقدس ويقتلون المسيحيين". فقد كان هناك العديد من اللصوص وقُطاع الطرق يسكنون الكهوف بالقرب من نهر الأردن. (وليم الصوري، 1991، ج3/ ص172)

ويؤكد الرَحالة الصليبي الحاج سايولف على أن الكهوف كانت من أوكار اللصوص في عصر الحروب الصليبية بقوله: (الحاج سايولف، 1997، ص23) "وذهبنا من يافا إلى بيت المقدس في رحلة استغرقت مسيرة يومين عبر طريق جبلية وعرة وخطرة جدًا، حيث إن المسلمين اعتادوا أن ينصبوا الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ أنهم كانوا يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصخرية، وكانوا يراقبون ليلاً ونهارًا حتى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين أو الهجوم على أولئك الذين يتخلفون وراء جماعتهم بسبب التعب، وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثم يختفون كلية. وعلى ذلك الطريق ليس الفقير أو الضعيف في خطر، بل الغني والقوي يواجهان الخطر نفسه".

3/2-الممرات الضيقة: تُعَدّ الممرات الضيقة التي يسلكها المسافرون سواء الجبلية منها أو الساحلية، من أهم أوكار اللصوص في عصر الحروب الصليبية، بل هي من أنجح المواقع، لأنها تمكنهم من انجاز مهمتهم بسرعة كبيرة، فلا مجال للمارين فيها من الهرب إلا في القليل النادر.

كانت الطريق المؤدية من بيت المقدس إلى نهر الأردن، طريق خطرة ومتعبة، وخالية من الماء، وتتواصل هجمات قُطاع الطرق في هذه الجبال الوعرة والممرات المخيفة. (دانيال الراهب، 1992، ص69) وهناك الكثير يهلكون بسبب الحرارة والعطش، والكثير بسبب ندرة ماء الشراب. (الحاج سايولف، 1997، ص23) فقد كان قُطاع الطرق واللصوص قد أزعجوا مملكة بيت المقدس الصليبية، كما بات الطريق الواصل بين الرملة والقدس

شديد الخطورة، لكثرة ما أنزلوه بالدروب والمسالك من الأهوال بسبب هجماتهم المتكررة. (وليم الصوري، 1991، ج2/ ص208)

ويقول الرَحالة الأوروبي أرنول عن إحدى هذه الممرات الخطيرة: (سوخم، 1999، ج37/ ص111) "يوجد عند قلعة الإسبتارية في المسافة بين قيصرية وأرسوف، ممر شيطاني، وهناك يسكن أُناس بلا إيمان، من أجل نهب الناس الذاهبين إلى يافا، وقطع الطريق عليهم". وكانت الممرات الضيقة هذه من أوكار اللصوص في الطريق الساحلي لبلاد الشام، يقول الرَحالة الأوروبي فيلكس فابري عن ذلك: (فيلكس فابري، 2000، ج38/ ص1112) "استمر تدفق الحجاج – الصليبيين – بأعداد كبيرة جدًا من جميع أرجاء العالم، وهنا بدأ بعض اللصوص ينصبون لهم الكمائن على طول الطريق الساحلي، وشرعوا يسلبون الحجاج، ويقتلونهم أحيانًا".

هذا، وقد وصف أسامة بن منقذ إحدى أوكار هؤلاء اللصوص من الممرات الجبلية الضيقة وصفًا دقيقًا فقال عن ذلك: (أسامة بن منقذ، 1930، ص152 – 153) "أخذ الحرامية قافلة لي في العقبة، فركبنا وسرنا إليهم فلحقناهم في وادي حلبون-من قرى دمشق – وهو واد ضيق، لعلَ ما بين الجبلين خمسة أذرع، والجبال من جانبيه وعرة رفيعة، وطريقه ضيقة، إنما يمشي فيها الفارس خلف الفارس، وكان الحرامية في سفح الجبل، فما طلع حصاني في ذلك الوعر إلا بآخر روحه". ولا شك أن ممر ضيق مثل هذا كان نقطة قوة للصوص في تنفيذ سرقاتهم، وفي إبطال أي مطاردة قد تتم ضدهم. بل يمكن القول بأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هؤلاء المجرمين، هي تسيير جيش بكامل قوته للقضاء عليهم.

4/2–القلاع والحصون: تُعَدّ القلاع والحصون من أخطر أوكار اللصوص في عصر الحروب الصليبية، لأنها كانت معروفة الموقع، وبالتالي تُعَدّ تحديًا صارخًا للسلطة السياسية التي كانت تسيطر على المدن والبلدان القريبة منها، أو أن هذه الأوكار من القلاع والحصون كان اللصوص وقُطاع الطرق ينفذون من خلالها عملياتهم من السطو والسرقة تحت مظلة السلطة الحاكمة نفسها.

كانت قلعة الدم تقع بالقرب من مدينة أريحا في فلسطين، وبها لصوص، وأخذ المكان اسمه من تكرار سفك الدماء هناك، والمكان كان في غاية الخطورة، ومنظرة مُخيف، ولا يأمن المرء السفر عبر هذا المكان إلا بصحبة حرس أو مرافقين. (بورشارد، 1995، ص123)

ومن قلاع اللصوص في بلاد الشام، قلعة (تل أعرن)، ففي سنة (526هـ/1131م)، جمع الكونت (جوسلين) صاحب مدينة الرها جيشا لتدمير قلعة تدعي تل أعرن، بين حلب ومنبج (بلد قديم بينها وبين حلب عشرة فراسخ)، حيث كان يعيش بعض اللصوص الذين عاثوا في الأرض فسادًا باستمرار. (المؤرخ الرهاوي، د.ت، ج5/ ص52)

وكان من حصون اللصوص في بلاد الشام أيضًا في عصر الحروب الصليبية، حصن بيت الأحزان، فقد كان هذا الحصن للداوية، وكانوا يقوون من فيه بالأموال والنفقات لقطع الطرقات على قوافل المسلمين، وكان على المسلمين منه ضرر عظيم. (أبو شامة، 1997، ج3/ ص26) يبدو أن اتخاذ القلاع والحصون أوكارًا للصوص كانت من عادة الصليبيين حتى في أوروبا ذاتها، ففي سنة (538هـ/1143م)، استولى الإيرل (جيوفري دي

ماندفيل (Mandeville) في لندن على دير (رامسي Ramsey) وطرد الرهبان منه، وحصّنه بمجموعة من اللصوص، وبذلك حوَل بيت الرب إلى وكر للصوص. (بلانتغنت، 1998، ج30/ ص79)

وكانت قلعة (بلتسام Belthasem) في مدينة بيسان في أيدي جماعة من قُطاع الطرق، (وليم الصوري، 1991، ج3/ ص66) ويبدو أن لصوص هذه القلعة كانوا من الشرقيين، سواء من المسلمين أو غير المسلمين، فقد تعددت مساهمات (جرموند) بطرك بيت المقدس الحربية، فقام بحصار حصن بلتسام الذي كان بحوزة جماعة من قُطاع الطرق في منطقة صيدا. (أشرف صالح محمد، 2014، ص130) كما ذكر آنفا بأن حصن أفامية التابع لخلف ابن ملاعب الكلابي كان وكرًا له يمارس من خلاله أعمال اللصوصية مع أتباعه ضد خصمائه السياسيين من المسلمين.

3-أعداد اللصوص: في البداية يجب أن نعرف بأن جريمة السرقة في ذلك العصر كان منها ما هو عمل فردي، أي قام بها تشكيل عصابي مكون من لص واحد، وهو أقل عمليات السرقة خطرًا على ممتلكات الناس بالطبع، وهو ما ذكره أسامة بن منقذ في كتابه تحت عنوان (واحد يغزو ثمانية). (أسامة بن منقذ، 1930، ص70) أي تشكيل عصابي من لص واحد يتغلب على ثمانية رجال كانوا مسلحين. ووجد مثل هذا اللص العربي لص آخر أوروبي. ففي سنة (668هـ/1269م)، تجرأ واحد من سكان منطقة (دنستيبل) في إنجلترا، كان قد اعتاد على أعمال قطع الطريق، واستولى على اثني عشر ثورًا. (متي باريس، 2001، ج40/ ص1840)

وكانت هناك تشكيلات عصابية بلغ عدد أفراد اللصوص فيها دون العشرين لصًا، فأثناء عودة رئيس أساقفة مدينة صور من بلاد الشام إلى القسطنطينية، وعلى مقربة من المصيصة، خرج عليه رهط من قُطاع الطرق. (وليم الصوري، 1991، ج4/ ص147). وفي سنة (685هـ/1286م)، هجم اللصوص على مدينة الموصل، فلم يهلك منهم سوى عشرة فقط. (ابن العبري، 1991، ص352). ويبدو أن عددهم كان أقل من عشرين لصًا، وأن خسارتهم الكبيرة في الأرواح ترجع إلى تصدى الأهالي لهم.

ويقول المؤرخ المجهول عن التشكيل الأقل من العشرين لصًا: (مجهول، 2000، ج2/ ص197) "وقع في تلك الليلة في أيدي رجالنا أربعة عشر رجلاً كانوا قد انحدروا من الجبال، وجاؤوا للنهب والسلب". ويقول وليم الصوري عن تصدي الصليبيين لمجموعة من اللصوص: (وليم الصوري، 1991، ج4/ ص197) "سقطوا في الكمائن التي نصبها لهم المسيحيون، فحصدوا ما بذرته أيديهم، إذ ألقى القبض على تسعة منهم، وقتل أكثر من سبعة غيرهم". أي أن هذا التشكيل العصابي أيضًا لم يتجاوز العشرين لصًا. ويقول ألبرت فون آخن عن عدد التشكيل العصابي التابع إلى اللص الأرمني باكراد: (ألبرت فون آخن، 2007، ج51/ ص112-113) "هجم الدوق بلدون على الحصن الذي به اللص باكراد الأرمني فأحرقه، وقتل العشرين فارسًا الذين كانوا بالحصن".

كانت هناك تشكيلات عصابية بلغ عددها ما دون المائة لص إلى المائتين لص، ولا شك أنه كان تشكيل أكبر وأشد خطرًا من التشكيل السابق. يقول أسامة بن منقذ على لسان أحد العارفين بمواطن اللصوص: (أسامة بن منقذ، 1930، ص79) "في طريقكم في الموضع الفُلاني عقد حرامية في ستين سبعين رجلاً". وبلغ عدد اللصوص أحيانًا أكثر من ذلك، يقول وليم الصوري عن قبض ملك بيت المقدس على مجموعة من اللصوص: (مجهول، 2000، ج2/ ص208) "لم تأخذه بهم شفقة ولا رحمة، فأمر بقطع رؤوس مائة منهم في لحظة،

فقطعت، وكان ذلك عقابًا عاجلاً يكافئ جرمهم". وأمسك التركمان في بلاد شيختان عند حدود ماردين، مائتين من اللصوص الأكراد كانوا كامنين للسرقة، فقتلوهم كلهم. (ميخائيل السوري الكبير، 1995، ج5/ ص298)

وكانت هناك تشكيلات عصابية تجاوز فيها عدد اللصوص أكثر من مائتين لص، من ذلك، أنه عندما هجم ملك بيت المقدس بلدوين الأول على مغارات اللصوص بين مصر وعسقلان، خرج حوالي مائتين وأربعين من المغاور، فأمر بلدوين بقطع رؤوسهم. (ألبرت فون آخن، 2007، ج51/ ص190) ولا شك أن هناك أعداد أكبر من ذلك، خاصةً التشكيل العصابي الذي كان يتخذ من الحصون والقلاع وكرًا له، فإن حماية أسوار القلعة وحده يحتاج إلى مئات من الرجال، إن لم يكن بالألوف. فضلاً عن مَنْ يقوم بعمليات السرقة وقطع الطريق من اللصوص أنفسهم، ولا شك أن هؤلاء اللصوص كانوا من أخطر التشكيلات العصابية وقتئذ.

4–الكفاءة القتالية للصوص: لم يكن الانخراط في التشكيل العصابي للصوص عبثيًا، بل كان يجب على أي فرد قبل أن ينضم إلى هذه التشكيلات أن تؤخذ عليه العهود والمواثيق بالحفاظ على كيان التشكيل.و كان العمل في اللصوصية مخلوطًا بالأعمال الدينية، فقد كان اللص بركات بن فارس الفوعي المعروف بالمجن، في حال اللصوصية يصلي العشاء الآخرة بالفوعة (قرية كبيرة من نواحي مدينة حلب)، ويسري إلى حلب ويسرق منها شيئًا ويخرج، ويصلي الفجر بالفوعة، فإذا اتهم بالسرقة أحضر مَنْ يشهد له أنه صلى العشاء بالفوعة والصبح فيبرئونه. (ابن العديم، 1996، ج1/ ص84).

كانت هذه العناصر من اللصوص على كفاءة عالية من القتال، كي تستطيع أن تؤدي مهمتها بنجاح، لأن اللص لا يجيء إلى خربة وينقُب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء، وإنما يجيء إلى البيت المعمور. (ابن كثير، 1990، ج10/ ص280) فإذا لم تكن لدى اللص الكفاءة العالية للتغلب على أهل الدار وما به من حراس، فلا شك أن مهمته سوف تفشل.

وقد بلغ من مهارة اللصوص القتالية، والأسلوب الخاص في الوصول إلى الممتلكات الخاصة للأفراد، أن أحدهم وصل إلى خيمة نوم السلطان صلاح الدين الأيوبي أثناء نومه، واخترق الحراسة الموضوعة عليه وأخذ منها ما أراد. فعندما توجه السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى مدينة الرملة وكان في زمن الشتاء، ووقع مطر كثير وهو بالمخيم، دخل إنسان من اللصوص على السلطان وهو نائم بالخيمة في الليل وسرق بقجة قماش من عند رأس السلطان، وقبض على الشيخ حرب شيخ جبل نابلس بسبب ذلك، وغرَمه مالاً.(مجير الدين العليمي، 1999، ج2/ ص316).

وكان اللصوص رماة ماهرين خاصةً في الضرب بالخناجر، فعندما هجم الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس على طائفة من قُطاع الطرق والشُطار –كانوا مختفين في إحدى الغابات – هجومًا عنيفًا وهو في طريقه إلى مدينة قيصرية، أهلك منهم نفرًا غير قليل، وفر منهم بقيتهم، فقام أحد اللصوص بقذف خنجرًا وهو يجري، شاء سوء الطالع أن يصيب الملك في ظهره، وينفذ من ضلوعه قرب قلبه، وكادت الرمية أن تصيبه في مقتل لولا عناية المطببين، واستعمالهم المشارط والكي بالنار، مما رد عليه أخيرًا بعض صحته، ولكنه ظل على الدوام يشكو الألم يعاوده من هذا الجرح في أوقات معينة. (وليم الصوري، 1991، ج2/ ص243 – 244) فعلى الرغم من

أن هذا اللص كان في حالة فرار، ولم يكن في حالة ثبات إلا أن رميته للخنجر للملك بلدوين، كانت صائبة بدرجة كبيرة، تدل على مدى تمتع هؤلاء اللصوص بالكفاءة العالية في القتال، وأن هذه الكفاءة قد ضمنت لهم نجاح العديد من عمليات السطو والسرقة التي قاموا بها.

ومن الشواهد التاريخية على الكفاءة القتالية العالية للصوص في عصر الحروب الصليبية، ما ذكره أسامة بن منقذ على لسان أحد جنوده فقال: خرج أبي من مدينة تدمر – في سوريا – يريد سوق دمشق ومعه أربعة فوارس وأربعة رجّالة وهم يسوقون ثمانية جمال ليبيعوها. وبينما نحن نسير إذا فارس مقبل من البريّة، فجاء يسير حتى صار بالقرب منا، فقال: خلّوا عن الجمال! فصحنا عليه وشتمناه. فأطلق حصانه علينا، فطعن منا فارسًا رماه عن فرسه وجرحه، فطاردناه فسبق. ثم عاد إلينا وقال: خلّوا عن الجمال! فصحنا عليه وشتمناه. فحمل علينا، وطعن راجلاً منا أوثقه بالجرح. وتبعناه فسبقنا، ثم عاد وقد بطل منا رجلان فاطلق علينا، فاستقبله رجل منا، فطعنه صاحبنا فوقعت الطعنة في قربوس (أسامة بن منقذ، 1930، ص70) سرجه فانكسر رمح صاحبنا، وطعنه الفارس فجرحه، ثم حمل علينا فطعن رجلاً منا فصرعه، وقال: خلّوا عن الجمال وإلا أفنيتكم. قلنا: تعال خذ نصفها، قال: لا. احبسوا منها أربعة اتركوها وقوفا وخذوا أربعة وامضوا، ففعلنا، وما صدّقنا نخلص بما سلم معنا، وساق هو تلك الأربعة ونحن نراه ما لنا فيه حيلة ولا طمع، وعاد بالغنيمة وهو وحده ونحن ثمانية رجال. وهذه الرواية تدل دلالة قاطعة على كفاءة اللصوص القتالية في عصر الحروب الصليبية، حتى وإن كانوا فرادًا.

ومن الشواهد التاريخية على كفاءة اللصوص القتالية الجماعية، ما ذكره (وليم الصوري، 1991، ج1/ ص81) بقوله: "إن اللصوص الظلمة تسلحوا بالسيوف وراحوا في الطرق العامة ينصبون الكمائن لتصيد المسافرين، فلم ينج من بطشهم حاج، ولم يسلم من شرهم رجل دين، ولم تكن القرى هي الأخرى بمنجاة من الأخطار، لأن السفاحين المتخلفين أحالوا جميع الشوارع والدروب إلى أماكن تبث الخوف في نفوس الأبرياء".

ويقول المؤرخ الصليبي المجهول عن صفات وأشكال وكفاءة اللصوص القتالية من طائفة البدو: (مجهول، 2000، ج2/ ص76) "يوجد في الشرقيين الذين يزرعون أرجاء الصحاري البدو، وهم قوم همج لونهم أسود من السُخام، يسيرون حفاة، كما أنهم رجال غلاظ الأكباد، يرمون بالأقواس، ويلفون حول أوساطهم كنانات فيها سهامهم، وعليهم دروع مستديرة، وهم جنس نشط غاية النشاط، خفيف الحركة، وكانوا على الدوام مصدر خطر يهدد رجالنا، ولا يكفون عن ايذائهم أبدًا".

5-أوقات عمل اللصوص: كان اللصوص في عصر الحروب الصليبية من الفئات المجتمعية المطلوبة للعدالة في أغلب الأحوال، فكان من الطبيعي أن يتخيروا الوقت المناسب لعمليات السرقة والسطو، كي يفلتون من العقاب، ولكي يتمكنوا من الاستيلاء على ممتلكات الناس دون عناء، وكغيرهم من اللصوص في كل عصر من العصور كان ظلام الليل، هو الوقت المناسب لتنفيذ عمليات السرقة والسطو.

كان إذا أقبل الليل، فإن الظلام الدامس كان يعم شوارع المدينة الأوروبية، وعندئذ يكثر انتشار اللصوص وقُطاع الطرق، بحيث يصبح الخروج إلى الطريق العام ليلاً أمرًا محفوفًا بالمخاطر. (سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ت، ج2/ ص101) في سنة (664هـ/1265م)، لم يتمكن رجال الدين من العبور في إنجلترا من بلدة إلى بلدة دون التعرض للسلب على أيدي قُطاع الطرق بالليل. (متي باريس، 2001، ج40/ ص1811)

وبعد أن اندلعت شرارة الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي، كان ظلام الليل هو الوقت المناسب للصوص الأوروبيين أيضًا، يقول ريموندداجيل عن وصول جيش الحملة الصليبية الأولى إلى مدينة دورازو البيزنطية: (ريموندا جيل، 2002، ص60) "قام قُطاع الطرق هؤلاء، وهم يعملون ليلاً، بذبح أهلينا في الحدائق، وفى الأماكن النائية عن المعسكر، وسرقوا منهم ما استطاعوا سرقته". ويقول وليم الصوري مؤكدًا على ذلك التوقيت في السرقة: (وليم الصوري، 1991، ج2/ ص180) "كان اللصوص يشنون هجماتهم خلسة تحت جنح الظلام، ويهاجمون المدن المهجورة التي فرَ عنها أصحابها القلائل وبعدوا عنها، ويغيرون على الناس في عُقر دارهم". وكانت الرفات المقدسة يتم سرقتها في منتصف الليل من الكنائس المجاورة، (Gina Burke, 2004, P. 41) فكما يقولون: إذا أقبل الليل أشتد الويل.

هذا، ولم يكن ظلام الليل هو الوقت المناسب فقط للسرقة والسطو في عصر الحروب الصليبية، بل هناك بعض السرقات قد تمت في وضح النهار، وفى داخل المدن أيضًا، وهو ما يدل على غياب السلطات الأمنية في هذه المدن، مما أتاح لهؤلاء اللصوص ارتكاب هذه الجرائم في جراءة تامة.

يقول فوشيه الشارتري عن وقت السرقة بالليل والنهار معًا، عقب استقرار الصليبين في الأراضي المقدسة: (فوشيه الشارترى، 1990، ص35) "لا يكاد يجرؤ أحد على السفر في الطرقات مؤملاً السلامة، خوفًا من الخطف على يد قُطاع الطرق في النهار، أو اللصوص في الليل، فهو معرض للعنف أو للاحتيال سواء كان داخل المباني أو خارجها". وفى سنة (685هـ/ 1286م)، عندما هجم اللصوص على مدينة الموصل، حطموا أبواب الأسواق ودخلوا واحتووا كل ما وجدوه، وظل اللصوص من الصباح حتى المساء يطوفون الأسواق والشوارع ويسرقون من الأحصنة والبغال والحمير والبقر عددًا وافرًا. (ابن العبري، 1991، ص352)

6–أنواع المسروقات: كان في مقدمة أنواع المسروقات المعادن الثمينة سواء كانت من النقود أو مادة مُصنعة. من ذلك، أنه عندما كان رجال أسقف (لنكولن) جالبين له مالاً من انجلترا، وقعوا في أيدي قُطاع الطرق، فأخذوا منهم أربعين ماركا فضة. (بلانتغنت، 1998، ج30/ ص279 – 280).

وبلغ من جراءة اللصوص الصليبيين، أنهم كانوا يتعدون على ممتلكات الكنائس الثمينة، فعندما وصلت جموع الصليبيين المشاغبة إلى القسطنطينية في الحملة الصليبية الأولى الشعبية، كانوا في ضيافة الإمبراطور البيزنطي إلكسيوس كومنينوس (Alexius Comnenus)، فأخذوا ينهبون قصور المدينة، وسرقوا الرصاص الذي كانت تُغطي به أسقف الكنائس، حتى إنهم باعوه لليونانيين. (بطرس توديبود، 2001، ص62) من أنواع المسروقات الأخرى التي كان اللصوص يحرصون على الحصول عليها، لثمنها وللاستفادة منها في المأكل والمشرب، وكذلك كوسيلة مواصلات في ذلك العصر أيضًا، الحيوانات والطيور بكل أنواعها.

فقد ذُكر سابقًا بأن أحد اللصوص الإنجليز قد استولي علي اثني عشر ثورا من إحدي البلدات الإنجليزية. (متي باريس، 2001، ج40/ ص1840 – 1841) وأثناء حصار الصليبيين لأنطاكية في الحملة الصليبية الأولى، تعرضت إناث البغال للسرقة في الطريق من البحر إلى أنطاكيا، على يد الأتراك، ولكن بعد أن تم استرداد هذه الحيوانات، أُعيدت إلى أصحابها بعد التعرف عليها. (ريموندا جيل، 2002، ص110) وقد ذكر آنفًا

أيضًا، بأن الملك ريتشارد الأول قلب الأسد، قد تورط في أثناء سيره إلى الشرق في الحملة الصليبية الثالثة في سرقة صقر، كاد أن يدفع فيه حياته ثمنا لذلك. (ستيفن رنسيمان، 1997، ج3/ ق1/ ص81)

وكان اللصوص يحرصون على سرقة الجياد حتى وإن كانت رديئة، فلا شك أن لها عندهم ثمنًا، يقول أسامة بن منقذ عن سرقة جواده: (أسامة بن منقذ، 1930، ص26) "انقطعت عن أصحابي وتحتي حصان أبيض، هو أردي خيلي، شدَه الركابي ولا يدري ما يجرى، وما معي من السلاح غير سيفي، فحمل عليَ العرب – لصوص البدو – فلم أجد ما أدفعهم به، ولا ينجيني منهم حصاني، وقد وصلتني رماحهم، قلت: أثب – أنزل – عن الحصان وأجذب سيفي، أدفعهم، فجمعت نفسي لأثب، فتتعتع الحصان، فوقعت على حجارة وأرض خشنة، فانقطعت قطعة من جلد رأسي ودُخت حتى ما بقيت أدري بما أنا فيه، فوقف عليَ منهم قوم، وأنا جالس مكشوف الرأس، غائب الذهن، وسيفي مرمي بجهازه، فضربني واحد منهم ضربتين بالسيف وقال: هات الوزن، وأنا لا أدري ما يقول، ثم أخذوا حصاني وسيفي".

ومن أهم أنواع المسروقات ذائعة الصيت، والتي انتشرت في عصر الحروب الصليبية انتشارًا كبيرًا، الرفات والذخائر المقدسة. فقد كان رجال الدين يتقبلون مثل هذه السرقات كشيء من الفضائل، وذلك بحجة أن المقصود من السرقة نقل الرفات من مكان لا تُقدَس فيه بشكل جيد، إلى مكان يمكن أن تُقدَس فيه بشكل أفضل. (Gina Burke, 2004, P. 28)

كانت هناك حالات من سرقات الذخائر المقدسة، وتشمل هذه الحالات الذخائر المقدسة الشهيرة المتعلقة بجسمان القديس (مارك) الذي حضر إلى الغرب الأوروبي من الإسكندرية، والذي كان رمزًا لانتصار مدينة البندقية. (يوشع براور، 2001، ص219)

وكان داخل دير (بودمين) في إنجلترا راهب اسمه (مارتن) كان لا يبالي بالحياة الدينية، وكان من قبل تم ضبطه لعدم مبالاته بالحياة الديرية، أراد مارتن الانتقام من الدير، لذا قام بسرقة رفات القديس (بيتروك) وهرب إلى كنيسة القديس (مين) في بريتاني سنة (573هـ/1177م). فقد وجد في عصر الحروب الصليبية أكثر من 100 حالة من حالات السرقة للرفات والذخائر المقدسة. (Gina Burke, 2004, P. 36)

كان من أسباب انتشار اللصوص في عصر الحروب الصليبية، ظهور الكثير من المجاعات، لذا كان من الطبيعي أن تكون من أهم أنواع المسروقات في ذلك العصر، الطعام والقوت. ففي أحداث الحملة الصليبية الثالثة حدثت مجاعة كبيرة، مما حدى بهم إلى مد أيديهم بالسرقة إلى الخبز. (مجهول، 2000، ج2/ ص171) وكان اللصوص يسرقون من الحجاج الصغار –الصليبيون الأطفال- ما كان يتصدق به عليهم الناس في القري والمدن. (ميخائيل زابوروف، 1986، ص286، 287)

ومن أنواع المسروقات التي وجدت في عصر الحروب الصليبية، والتي كان اللصوص يحرصون عليها، سرقة الأطفال، وإن كانت لأغراض مختلفة حسب مقصد اللصوص من ذلك. فقد كان منها ما هو لغرض ديني، من ذلك؛ أنه في سنة (633هـ/1235م)، سرق سبعة من اليهود طفلاً من بلدة (نورويك) الإنجليزية، واحتفظوا به كُليا بعيدًا عن أنظار المسيحيين، وكانوا عازمين على صلبه في عيد الفصح، وفى حضرة الملك اعترفوا بالحقيقة، وبقوا في السجن قيد إرادة الملك. (روجر أوف ويندوفر، 2000، ج39/ ص1011)

وكان الغرض من سرقة الأطفال أيضًا، بيعهم للحصول على المال، فقد قام القرصان ببيع أعداد كبيرة من الأطفال –في حملة صليبية الأطفال– رقيقًا إلى المسلمين وإلى أجانب آخرين. (فيلكس فابري، 2000، ج38/ ص1156) وكان هذا دافع بعض اللصوص المسلمين أيضًا، وإن كان الأطفال من الجانب الصليبي، فقد سرق اللصوص المسلمون طفلاً من الإفرنج، وباعوه بثمن بخس. (مجير الدين العليمي، 1999، ج1/ ص372)

خاتمة:

العناصر الهامشية المنحرفة وتحديدًا اللصوص ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها مجتمع في كل زمانٍ ومكان، وليست محصورة في فئة أو وسط اجتماعي محدد، وهي أيضًا ليست مرتبطة بوقت أو فترة معينة، فهي موجودة منذ بداية التاريخ البشري، إلا إنها تختلف كمًا ونوعًا من مجتمع لآخر، ومن زمن لآخر، فاللصوص ظاهرة اجتماعية يقع أخطارها على الجميع.

وتبيّن من الدراسة أن أعمال اللصوص وردت في المصادر التاريخية بتحديد جنس أو ديانة اللص دون أن تحدد لنا اسمه. وتوصلت الدراسة إلى تتنوع أوكار اللصوص خلال عصر الحروب الصليبية وفق اختلاف التضاريس وطبيعة المواقع الجغرافية فأمكن حصرها في الغابات، والمغارات والكهوف الجبلية، والممرات الضيقة، والقلاع والحصون.

مع أن المصادر التاريخية لم تذكر أعداد اللصوص صراحةً، إلا أنه من خلال ما ورد من أعداد لهؤلاء اللصوص عرضًا في سياق الروايات التاريخية، مكننا من التعرف على أعداد وحجم هذه التشكيلات الإجرامية، كي نتصور حجم الهجوم الذي كانوا يقومون به في حالات السرقة والسطو، كما أن الأعداد الكبيرة عرفنا من خلالها بأن جريمة السرقة في ذلك العصر كانت جريمة منظمة.

كان اللصوص رماة ماهرين، تمتعوا بكفاءة عالية في القتال خاصةً في الضرب بالخناجر، مما جعلهم يؤدون أعمالهم الإجرامية بنجاح ضمن لهم تعدد عمليات السطو والسرقة التي قاموا بها. وبالنسبة لأوقات السرقة وقطع الطريق، فهي في الغالب تكون في الساعات المتاخرة من الليل وأحيانًا في ساعات الغفلة أو القيلولة نهارًا، وفي مثل هذه الحالة فإنها تظل سلوكًا يعكس مدى هيبة الجناة من المجتمع، إذ لا يتجاسر السارق على تحدي المجتمع، ولكن السرقة عندما تصير جهارًا نهارًا فهي إجرام مضاعف يعكس استخفاف الذي يمارسها بالممارس عليه.

لم تقتصر أنواع المسروقات التي استولي عليها اللصوص في عصر الحروب الصليبية على نوع واحد، بل قاموا بالاستيلاء على كل ما يمكن أن يستفاد منه، سواء كانت أموال أو أعراض، حتى وإن كان المسروق من سقط المتاع، فكانوا لا يتوانون عن الاستيلاء عليه. وقد أوضحت الدراسة أن المسروقات تنوعت بين (المعادن الثمينة، ممتلكات الكنائس الثمينة، الجياد، الرفات والذخائر المقدسة، الطعام والقوت، الأطفال).

قائمة المراجع:

- ابن العديم: عمر بن أحمد بن العديم. ت660هـ، زبدة الحلب في تاريخ حلب. تحقيق/ خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1996م.
- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1908م.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير. ت774 هـ، البداية والنهاية. مكتبة المعارف، بيروت 1990م.
- أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1997م.
- أحمد عبد الله أحمد: الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن 6-7هـ / 12-13م. دار الآفاق العربية، القاهرة 2016.
- آخن: ألبرت فون آخن، تاريخ الحملة الصليبية الأولى. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 2007م.
- أسامة بن منقذ، الاعتبار. تحقيق/ فيليب حتّي، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة الأمريكية 1930م.
- أشرف صالح محمد: الكنيسة ودورها في مملكة بيت المقدس اللاتينية 1099/1187م. كان التاريخية، القاهرة، الطبعة الثانية 2014م.
- بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس. ترجمة/ حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2001م.
- بلانتغنت، تواريخ أسرة بلانتغنت. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 1998م.
- بورشارد: بورشارد من جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة. ترجمة د/ سعيد البيشاوي . دار الشروق . عمان . الأردن . الطبعة الأولى 1995م.
- جوانفيل: جان دي جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام. ترجمة/ حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1968م.
- جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، لم تذكر سنة الطبع.
- الحاج سايولف، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة (1102-1103م). ترجمة/ سعيد البيشاوي. دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1997م.
- دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة. ترجمة/ سعيد البيشاوي . مؤسسة مهنا . عمان . الأردن. الطبعة الأولى 1992م.
- روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 2000.

- ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس: ترجمة/ حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2002م.
- ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة د/ السيد الباز العريني . دار الثقافة . بيروت 1997م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، أوروبا العصور الوسطي. لجنة البيان العربي، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع.
- سوخم: لودولف فون سوخم، وصف الأرض المقدسة. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 1999م.
- عطية: عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب. ترجمة/ فيليب صابر سيف، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية 1977م.
- فوشيه الشارترى. ت 1127هـ، تاريخ الحملة إلى القدس. ترجمة د/ زياد العسلي . دار الشروق . عمان . الأردن . الطبعة الأولى 1990م.
- فيلكس فابري، جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 2000م.
- قاسم عبده قاسم (دكتور)، ماهية الحروب الصليبية . المجلس الوطني للثقافة . الكويت 1990م.
- متي باريس، التاريخ الكبير. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق 2001.
- مجهول: مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد). ترجمة د/ حسن حبشي. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 2000.
- مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق/ عدنان يونس، مكتبة دنديس، عمان، الأردن 1999.
- المؤرخ الرهاوي المجهول. تحقيق د/ سهيل زكار. الموسوعة الشامية دار الفكر. دمشق لم تذكر سنة الطبع.
- ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق. ترجمة/ إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو 1986.
- ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر. ترجمة / بشير السباعي، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى 2003.
- وليم الصوري، الحروب الصليبية. ترجمة د/ حسن حبشي . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1991.
- يعقوب الفيتري، تاريخ بيت المقدس: ترجمة/ سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1998.
- يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين. ترجمة د/ عبد الحافظ البنا. دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى 2001.
- Gina Burke: The justifications for relic thefts in the middle ages. Miami University. Oxford. Ohaio. 2004,